جامعة الانبار
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية
فكر سياسي غربي حديث
المرحلة الثالثة
مدرس المادة: أ.م.د. مؤيد جبير محمود

أولا: الأفكار الاشتراكية الطوباوية في فرنسا

سان سيمون ١٧٦٠-١٨٢٥

ولد هنري كلود سان سيمون في باريس من عائلة ارستقراطية، وجد نفسه الى جانب الثوار في حرب الاستقلال الامريكية، واشتهر طيلة فترة الثورة الفرنسية بوصفه من انصار المساواة. يعتبر سان سيمون : ان تطور العقل الانساني هو القوة المحركة للتطور الاجتماعي،

وتأسيسا على هذا فقد أعتبر أن تطور هذا العقل هو السبب في استبدال نظام العبودية تاريخيا بالنظام الاقطاعي، كما ذهب الى ان تحطم النظام الاقطاعي هو النتيجة الطبيعية لتطور العلوم الطبيعية والرياضية بالاضافة الى تطور الفن والأخلاق. ولكنه لم يغفل تماما اهمية العوامل المادية ومنها الاقتصداية ودورها فذ هذا التطور، وذلك بالاشارة بان السياسية هي علم الانتاج، وهو تاكيد على أهمية الاقتصاد بالنسبة للمسسات السياسية. كما قال بان كل بنة تترك اجتماعية تترك محلها لبنية جديدة عندما تتوقف الاولى عن ان تكون مطابقة لحاجات الانسان.

ضمن هذا الإطار صاغ سيمون أفكاره الاشتراكية فيرى بأن الرأسمالية مؤقتة كما كان الحال بالنسبة ضمن هذا الإطار سيصوغ سان سيمون أفكاره الاشتراكية فيرى أن الراسمالية مؤقتة كما كان الحال بالنسبة إلى الإقطاع، ويؤكد بأن المجتمع بحاجة اء، فمن المناسب إذا وقبل كل شيء أن يعمل كل الناس وأن ينظروا إلى أنفسهم منهم عمالا مرتبطين بورشة كبيرة. وهو يرى بان السلطة في النظام الصناعي شلون في أيدي العلماء ورؤساء المشاريع في الوقت نفسه الذي يتم فيه جر رفين إلى موضع القيادة، وأن الطبقة الصناعية هي التي ينبغي في رأيه أن ب الدور الأول، وهو يقصد بالطبقة الصناعية كل المنتجين والمستثمرين وأرباب مال والمزارعين وعمال الصناعة والمصرفيين والمثقفين، فإلى هذه الطبقة يعود سر في تنظيم المجتمع وتحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس عن بريق إزالة النبلاء والطفيليين وتطوير الإنتاج وتحقيق الرفاهية المادية والتعليم امام، إلا أن سان سيمون سيذهب بأفكاره الاشتراكية إلى ما هو أبعد من ذلك في عليه المسيحية الجديدة، حيث سيبدو فيه بوصفه الناطق باسم الطبقة العاملة معلنا تحرير هذه الطبقة هو الهدف النهائي لكل جهوده. كما أنه ذهب إلى الاعتقاد بأن رة الأشياء ستحل محل إدارة الناس في النظام الاشتراكي ومن ثم فلن تكون هناك و هذا النظام سلطة سياسية ولا إنسان مشاكس يقتضي العقاب لأن الإنسان يعيش في مجتمع يجعل من الإصلاح الاجتماعي هدفا له مشيرا بذلك الى قدرة المجتمع الاشتراكي على تحقيق الوحدة المعنوية والسياسية بفعل الجهد المميز للنخبة.

شارل فوربيه ١٧٧٢-١٨٣٧

ويعد موت سان مومون حاول أتباعه، وتحديدا فورد الغلاف الديني والأخلاقي الذي قدم فيه سان سيمون أفكاره في : الجديدة) ليجعلوا من اشتراكينة طرية نينية) وسعي هولاء إلى تشى

خاصة بهم على غرار الكنيسة، ولكن هذه المحاولات كان يصيبها « سنوات قليلة من قيامها. ويحتل (شارل فوريه ١٧٧٢-١٨٣٧م) مكان و الفكر الاشتراكي الطوباوي، وهو من اسرة تجارية فرنسية لكنه أضا والتحق بالخدمة العسكرية ثم عمل مندوبا تجاريا متجولا وموظفا في من صندوق، ظهر كتاب فوربية الأولي (نظريات الحركات الأربع ومصائر العامة) عام ١٨٠٨م وفيه يتحدث عن الحركات الأربع المادية والعضوية والحيوانية والاجتماعية وكلها تخضع عنده لنفس القانون العام المتعلق بالتناسق والجذب والتوافق، وهو يعتبر أن مهمته الأساسية تتلخص في توسيع قانون الجنب ليشمل تطور المجتمع لأن الحركة في الطبيعة والمجتمع ليست بسيطة وإنما معقدة وربما مضاعفة.

ويحتل نقد المجتمع الرأسمالي مكانة مميزة في نظرية فورييه، حيث أكد على الجوانب السلبية لهذا المجتمع سواء تمثلت بالفوضى الصناعية أو الخداع والاضطهاد أو إفقار الجمهور أو البؤس المتولد في حضارة الوفرة أو الأزمات الوفيرة التي هي التجلي الأوضح للمرض الاجتماعي والبرهان الساطع على أن النظام الرأسمالي يمثل العالم المقلوب أو الميكانيكية المعكوسة. وعلى اساس نظرية الجذب الانفعالي رسم فورييه صورة طوباوية خيالية لتنظيم العمل الجماعي في المجتمع الذي يتطلع إليه، وهو يسمي وحدة الإنتاج في هذا المجتمع بـــ (المشترك) ويعتبرها المعزوفة التي تتوافق فيها كل الانفعالات فكل عضو من - المشترك ومن خلال إسهامه في العمل طبقا لكفاءاته وميوله يتلقي الإمكانه النعال الحب لانه يغير عمله كل ساعتين، أما الفعال المنافسة الذي يتميز بخاصية سيئة في ظل نظام الحضارة فيستخدم في ظل نظام المشترك لرفع كمية المنتج الذي يحصل عليها المنسقون ويتولون توزيعها ، ويشجع انفعال الاندفاع ازدهار العمل، وبالتعاون مع الانفعالين الأولين سوف تطرد محفزات النوعية االرديئة التي تدفع الإنسان إلى العمل في ظل نظام الحضارة. ويعمل كل الناس في المشترك) حتى الراسماليون الكبار، وفيه يكون كل الناس، يشكل من الأشكال، هم جميعهم الرأسماليون. ويوزع جزء من دخل مشاريع المشترك بشكل أجور، ويوزع الجزء الاخر بشكل جوائز على أساس المعرفة المهنية والذكاء، ويوزع الجزء الثالث منه بشكل فائدة على رأس المال، ويجب أن يتم توزيع الدخل بين العمل ورأس المال والذكاء طبقا لنسبة محددة. لقد كان فورييه مقتنعا أن بالإمكان العبور في الحال إلى النظام المجتمعي القائم على المشترك بفعل توفي الأموال اللازمة لذلك مما يقتضي إقامة شركة مساهمة. وهو يتوجه إلى الناس الذين توجد تحت تصرفهم رؤوس أموال كبيرة ويتمتعون بنفوذ اجتماعى او سياسي قوي لتحقيق هذا الهدف، ولكنه بقي لسنوات عديدة ينتظر عبثا مجيء المساهمين، كان أتباع فورييه كثيرين لاسيما بين المثقفين الذين قام كثير منهم بمحاولات يائسة لوضع أفكار معلمهم موضع التنفيذ، لكنهم لم يوفقوا في مسعاهم لا في فرنسا ولا في الولايات المتحدة الأمريكية.

ثانياً: الأفكار الاشتراكية الطوباوية في انجلترا

لقد كان تطور الرأسمالية في انجلترا سريعا بالقياس إلى الدول الأوروبية الأخرى، ولعل ذلك كان سببا في أن تبلغ الأفكار الاشتراكية الطوباوية شرونها هناك من خلال مفسرين أساسيين هما (وليم كودوين) و (روبرت أوين).

وليم كودوين ١٧٥٦- ١٨٣٦م

لقد بدأ (وليم كودوين ١٧٥٦-١٨٣٦م) حياته قسا لكنه انتهى ملحن بتأثير الفلاسفة الفرنسيين، وكانت وعود التقدم الاجتماعي التي قدمتها الثورة الفرنسية من العوامل الأساسية التي دعوته إلى وضع كتابه الشهير (مقالة حول العدالة السياسية وتأثيرها في الأخلاق والسعادة المنشور عام ١٧٩٣م والذي كرس الجزء الثامن منه لمتابعة الفلسفة السياسية وعالج فيه موضوع الملكية الاقتصادية الذي يتمتع بأهمية خاصة في تطور الأفكار الاشتراكية الطوباوية. وينطلق كودوين في معالجته الهذا الموضوع من مبدأ المنفعة ولكنه يستخدم هذا المبدأ بشكل يجعل مقدماته ونتائجه متعارضة مع ما ذهب إليه الفكر الليبرالي لأنه جمع فيه بين مبدأ المنفعة وفكرة وجوب خضوع المجتمع لمبدأ التعقل مؤكدا في هذا الشأن أن كل فرد يسير وراء مصلحته الشخصية ويبحث عن الحد الأعلى من السرور، لكن الناس أيضا مخلوقات عاقلة تفهم جيدا ضرورة تطبيق مبدأ المنفعة بطريقة غير متحيزة بما يعني أن من حق كل واحد أن يطالب بالسرور بشرط ألا تكون سعادته هذه سببا في حرمان شخص آخر من سرور أعظم الأمر الذي يعني تطبيق مبدأ المنفعة طبقا لمقتضيات العدالة التي هي المبدأ الوحيد الذي تقوم عليه الأخلاق. وانطلاقا من هذا يجند كودوين نفسه لنقد حق الملكية الاقتصادية الخاصة بمفهومه الشائع في زمانه لأن الشكل الشرعي الوحيد للملكية عنده هو ملكية الأشياء التي تنبعث منها مجموعة من المزايا والمسرات أكبر من مجموعة المزايا والمسرات التي تنبعث من شكل آخر من ملكية هذه الأشياء، ولا تكون الملكية الاقتصادية الخاصة شرعية لديه إلا إذا كانت الأشياء قد توزعت بنسبة حاجات كل فرد، وتستوجب عنده العودة إلى النظام الطبيعي للأشياء إلغاء الملكية الخاصة. لذلك طالب بقيام مجتمع يستفيد فيه كل فرد من العمل المشترك بنسبة حاجاته، مثلما طالب أيضا بمجتمع بلا حكومة. ولكن كيف تتحقق مثل هذه الأهداف؟ إن كودوين يرفض تحقيقها بالثورة العنيفة أو بأي شكل من أشكال الإكراه الذي يمارس على الأفراد للحصول على المزيد من المساواة لأن كل أكراه هو في رأيه شكل من أشكال الشر الذي يتناقض مع مبدأ المنفعة. وبذلك فإن كل ما كان يدعو إليه هو تغيير الأخلاق تدريجيا لأن من شأن ذلك في اعتقاده أن يدفع بالأثرياء إلى التخلي بشكل إرادي عما يملكونه من أموال زائدة.

روبرت أوين ١٧٧١- ١٨٥٨م

ومن جانب آخر حاول (روبرت أوين ١٧٧١-١٨٥٨م) أن يضع نظرية اشتراكية عامة للتطور الاجتماعي مركزاً اهتمامه في هذا الخصوص على تحسين القى أوين بذلك مخلصا للتقليد النفعي الذي شاع في القرن الثامن ان كو دوين أحد ممثليه. ويربط أوين بين الإصلاح الأخلاقي و تحولات الاقتصادي، وكتبه الاساسية المكرسة لهذا الموضوع بالدرجة الأساسية هي (نظرة جديدة حول المجتمع أو مقالة حول مبدأ تكوين الخلق الإنساني) و (العالم الأخلاقي الجديد) والتي يؤكد فيها أن الفرد نتاج للبيئة التي يعيش فيها لذلك فإن أي أصلاح له يجب أن يبدأ بتغيير هذه البيئة. ويدعو أوين لقيادة المجتمع نحو حالة من التجانس التام بالأخذ بسياسة فعالة لتحسين شروط حياة الانسان التي تشكل بيئته، وقوام هذه السياسة هو علم الأخلاق الذي يتلخص مبدأه الأساس في أن الناس لهم مصلحة في الاتحاد والتعاون في العمل وهو ما كان أوين يسعى إليه بشكل عملي لأنه كان رجل عمل أكثر مما كان رجل نظرية. فقد أصبح أوين في سن الخامسة والعشرين وبجهده الخاص واحدا من أكبر النساجين في انجلترا، ثم أدار مصنعا يضم أكثر من ألفي عامل. ومنذ أن أمتلك السلطة داخل هذا المصنع بدأ العمل لتحقيق الإصلاح الأخلاقي، فنجح في القضاء على ظاهرة تعاطي المشروبات الكحولية التي كانت شائعة بين العمال، وتضم بيع المواد الغذائية لعماله بسعر الجملة لتخليصهم من استغلال التجار الصغار، وعمل ضد السرقة داخل المصنع عن طريق نوع من التوجيه الذهني ينجح في النهاية في أن يحظى بثقة عماله عن طريق الإبقاء على أجورهم أثناء توقف العمل لمدة أربعة أشهر. إلا أن المساهمين معه في هذا المصنع لم يقتنعوا بالفائدة التي تترتب على هذه الجهود فعملوا على تصفية المشروع ليقوم أو بتاسيس شركة جديدة مكرسة لخلق مصنع نموذجي، وأسهم في الرد حملة لتوفير الضمانات اللازمة لعمل الأطفال. واتجه لاحقا إلى التفكيرز البيئة الاقتصادية تغييرا جذريا، وتنظيم الإنتاج التعاوني على أساس الى المشتركة لوسائل الإنتاج، وإذ أعتقد أوين أن الملكية الخاصة هي مصدر ال في حياة الناس، فقد حددت لخطته مدة زمنية معينة يحصل الأفراد فيها على العقلية الجماعية تمهيدا لإزالة هذه الملكية، ويبدأ تطبيق هذا النظام على العمال العاطلين أولا بأن يتم تجميعهم في قرى تعاونية تضم كل قرية منها قرابة ١٢٠٠ فرد وتتم داخلها ممارسة الزراعة والعمل الصناعي في الوقت نفسه. غير أن أوين فشل في تطبيق مشروعه هذا في انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية، فقير معالجة الأمر بطريقة أخرى، فتوجه إلى عمال المعامل الرأسمالية واقترح عليهم تأسيس تعاونيات استهلاكية طبقا لصيغة خاصة. وإذا كانت هذه الحركة التعاونية قد حققت في البداية نجاحا كبيرا، فإنها سرعان ما تصدعت لأن التعاونيين لم ترتقوا بأخلاقهم إلى مستوى المبادئ التي وضعها أوين في التخلي عن مصالحهم الذاتية الآلية، دون أن يثنه فشله الآخر هذا عن العمل من أجل مشاريع أخرى في إطار التصور الاشتراكي التعاوني.

ثالثا : الأفكار الاشتراكية الطوباوية في ألمانيا

ولدت الأفكار الاشتراكية الطوباوية في ألمانيا في مرحلة كان فيها البدل الرأسمالي الحديث ما زال قيد التكوين، وتقترب هذه الأفكار إلى حد الأفكار الاشتراكية الطوباوية التي ظهرت في فرنسا قبل نصف قرن من ظهورها في ألمانيا، غير أن الأفكار الاشتراكية الطوباوية الألمانية تميزت عن مثيلتها الفرنسية بطابع أيديولوجي واضح وعميق. ويرتبط تكوين الأفكار الاشتراكية الطوباوية في ألمانيا بتطور اليسار الهيجلي الذي عبر عن تطلع البرجوازية الألمانية من خلال الليبرالية لكنه واجه فيما بعد، ولو في جزء منه، مهمة التحول عن الليبرالية إلى الاشتراكية، وتظهر هذه الأفكار بشكل خاص عند كل من لودفيغ فويرباخ وموسس هس.

لودفيغ فويرباخ ١٨٠٤- ١٨٧٢م

ترتبط أصول الأفكار الاشتراكية الطوباوية في ألمانيا بنقد اليسار الهيجلي للفكر الديني الذي قدمه بوجه خاص (لودفيغ فويرباخ) لاسيما في نظريته عن الاستلاب الديني في كتابه (جوهر المسيحية). وقد استخلص فويرباخ من نقده للفكر الديني مذهباً اجتماعياً أوضح فيه أن العيب الأساس في الدين هو أنه يقود الإنسان إلى أن يجعل أفضل ما فيه ، وهو النوعيات الخاصة بالإنسانة، غريبة عليه بقدر ما أنه يجعل هذه النوعيات خارجية ومستلبة من قبل قوة غيبية الأمر الذي يجعل من هذا الإنسان فردا ضعيف الشأن وأنانية ومعزولا عن الجماعة وعن حياة النوع الإنساني التي هي الوحيدة التي تتطابق مع طبيعته الحقيقية. ويرى فويرباخ أن استعادة الإنسان لجوهره الذي استليه منه الدين بهذا الشكل ليعيش في حياة جماعية، يتطلب تبديد التصور الديني وإعادة إدراج النوعيات الإنسانية في الإنسان بعد أن كانت القوة الغيبية الدينية قد أستلمتها منه ، واذا نجدد الإنسان بهذا الشكل واحد بالجماعة قسيتخلص من الأنانية التي هي مصدر عدم العدالة وعدم المساواة والبؤس في حياته. وانتهى فويرباخ في كتابه المبادئ فلسفة المستقبل) إلى أن حدوث ذلك سيمنع الإنسان من التعلق بحب هذه القوة الغيبية بقدر ما سيجعل من حب الإنسانية قانون حياته. وقد تضمنت هذه الفلسفة المحاولة الأولى لإقامة مذهب اشتراكى انطلاقا من نقد للنظام الرأسمالي اتخذ على المستوى الاقتصادي- الاجتماعي صورة نقد مركب لكل من استلاب قوة العمل الأجير في البضائع التي ينتجها في النظام الرأسمالي من جهة، والفردية الناجمة عن أسلوب التملك القائم على الملكية الخاصة من جهة ثانية ، اوهر نشد أسسته هذه الفلسفة على نقدها للدين والاستلاب المرتبط به والناجم عنه والذي عنه عقبة أمام الحياة الاجتماعية بسبب الأنانية والفردية التي يولدها. وبذلك فقد انعكس هدف القضاء على الاستلاب الديني لإقامة حياة جماعية تتطابق مع الطبيعة الحقيقية للإنسان في فلسفة فويرباخ في صورة اقتصادية اجتماعية تؤكد على ضرورة إلغاء المجتمع البرجوازي القائم على الفردية والأنانية واستبداله بمجتمع أشتراكي.

موسس هس ١٨١٢- ١٨٧٥م

موسس هس، كان عضواً في مجموعة صغيرة تضم شباباُ هيجليين سرعان ما تحولوا من الليبرالية إلى الاشتراكية، وبدأ هيس اعتباراً من عام ١٨٤١م وبتأثير الاشتراكية الفرنسية يعتقد بعجز الليبرالية عن حل القضية التي تتمثل في نظره في القضية الاجتماعية، ويعلن بأن التحرر الكامل للإنسانية مهمة يختص بها عصره ولن يتم إنجازها عن طريق الإصلاح لا الدينى اس بل عن طريق الثورة الاجتماعية التي تحقق التحول الحدزى للمجتمع، ولن تقوم هذه الثورة على النقد البسيط للواقع وإنما على النقد والنشاط الجذري الفعال. إلا أن المفهوم الاشتراكي الذي انتهى إليه هس في نقده للمجتمع بقي غامضة حاله في ذلك حال جميع الاشتراكيين الخياليين الذين اطرحوا مسألة تحقيق الاشتراكية كشرط أساس دون أن يستطيعوا ملاحظة العلاقة بين الاشتراكية والقوى الاجتماعية الناشئة في إطار المجتمع الرأسمالي والناشطة فيه. وحدد هس بعد ذلك مفهومه الخاص للاشتراكية في مجموعة مقالات استوحت الجزء الأكبر من أفكارها من فويرباخ الذي كان يتمتع بتأثير كبير على المستوى الفكري، وانتهى هيس في هذه المقالات إلى التأكيد على ضرورة إلغاء الملكية الخاصة والتنافس، واستبدال النظام الرأسمالي بالنظام الاشتراكي الذي هو النظام الوحيد الذي يسمح بإزالة الأنانية وإقامة علاقات اجتماعية بين الناس على أساس الحب. ونخلص من متابعة الأفكار الاشتراكية للرواد الأوائل إلى أن هذه الأفكار تكشف عن أبعاد مختلفة ومنازع متنوعة مما أكسبها في مجموعها انوعة من الغنى الفكري، ولا شك أن الأفكار الاشتراكية اللاحقة، لاسيما الماركسية وما بعد الماركسية، ستفيد من هذا الغنى الفكري في إقامة منتظمات فكرية مترابطة ومتناسقة وهو ما سيوضحه الفصل القادم.

١- عبد الرضا الطعان، علي عباس مراد، عامر حسن فياض، ط١،موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١٥.
٢- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث ، عصر النهضة، ج١، ط١، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
٣- جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، ط٢، ترجمة علي مقلد، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣.
٤- كوينتن سكنر، أسس الفكر السياسي الحديث ، عصر الاصلاح الديني، ج٢، ط١، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ٢٠١٢.
٥- فرانسو شاتليه، تاريخ الايديولجيات-القرن ٧-١٩، ج٢، ترجمة انطون حمصي، وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٧.
٦- ليو شتراوس، جوزيف كروسبي، تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك الى هيدجر، ج٢، ترجمة محمود احمد سيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

جامعة الانبار
كلية القانون والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية
فكر سياسي غربي حديث
المرحلة الثالثة
مدرس المادة: أ.م.د. مؤيد جبير محمود